الغموض فى التراكيب الخطية العربية
بين التحدى والتشويه

دكتور

حمود جلوى فرج

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
بكلية التربية الأساسية ، الكويت

الملخـــــص

يعد بحث الغموض في التراكيب الخطية العربية من أهم الدراسات في هذه الجزئية حيث يبحث في ملامح تشكيل هذا الغموض الذي يعطي للخط العربي رونقه وبهاؤه ذلك لأن هذا الغموض إنما يعكس حالة الزخم الفني الأصيل لجمال وأصالة الخط العربي. من خلال التداخلات والتشابكات والمدات في الحروف العربية وهو وإن كان في ظاهره غموضا إلا إنه يبرز مدى القدرة على روعة هذا الفن وتطوره عبر العصور والأزمان . ولما كان الخط العربي يتميز عن غيره من سائر الفنون بالعديد من المميزات من توازن وإيقاع وقدرته على التكيف وما يزال محافظاً على قدرته ودقة تواجده مع سائر الفنون والزخرفة الحديثة . لهذا وغيره جاءت هذه الورقة البحثية لتزيل الغبار عن قصة الغموض في التراكيب الخطية وكون هذا الغموض قد يكون عائقاً على استنطاق جمال اللوحة الخطية حيث احتوائها واشتمالها على تشابكات متداخلة وكون هذا الغموض قد يكون شفيفاً ويسهل بالتالي فك رموزه .

الكلمات المفتاحية: الغموض - الكتابة الخطية - التحدي والتشويه - جمال الغموض في الخط العربي .

دكتور
حمود فرج
عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
بكلية التربية الأساسية ، الكويت
hamoodalj7@gmail.com

Abstract

The study of ambiguity in the Arabic calligraphic structures is one of the most important studies in this part, as it looks at the features of the formation of this ambiguity that gives the Arabic calligraphy its splendor and beauty, because this ambiguity reflects the state of the original artistic momentum of the beauty and originality of the Arabic calligraphy.

Through the overlaps, entanglements, and periods in the Arabic letters, which, if it was ambiguous in appearance, yet it highlights the extent of the ability to splendour this art and its development through the ages and times. Since Arabic calligraphy is distinguished from other arts by many features, such as balance, rhythm, and its ability to adapt, it still maintains its ability and precision to be present with all other modern arts and decoration. For this reason and others, this research paper came to dust off the story of the ambiguity in calligraphic compositions and the fact that this ambiguity may be an obstacle to interrogating the beauty of the calligraphy painting as it contains and includes overlapping entanglements and the fact that this ambiguity may be transparent and thus easy to decipher.

Keywords: Ambiguity, calligraphy , challenge and distortion, the beauty of ambiguity in Arabic calligraphy.

Dr
Hammod Faraj
The Puplic Authority
education and Training at the for Applied
College of Basic Education in Kuwait
hamoodalj7@gmail.com

مقدمـــة

تعد قضيـة الغموض في التراكيب الخطية بين تحديها وتشويهها لمن أبرز القضايا في دنيا الخط العربي وهى مسألة شاقة مشوقة، وشاقة لأنها تناول جزئية مهمة في تطور فن الخط العربي وتميزه عن غيره من سائر الفنون التشكيلية والزخارف، ومُشوقة لأنها تتعلق بفن الكلمة العربية في الخط العربي والذي يجب أن تظهر دوما بمظهر التشكيل الساعي والدال على التفوق .

ولما كان الخط العربي يتميز عن غيره من سائر الفنون بالعديد من المميزات من توازن وإيقاع وقدرته على التكيف وما يزال محافظاً على قدرته ودقة تواجده مع سائر الفنون والزخرفة الحديثة .

لهذا وغيره جاءت هذه الورقة البحثية لتزيل الغبار عن قصة الغموض في التراكيب الخطية وكون هذا الغموض قد يكون عائقاً على استنطاق جمال اللوحة الخطية حيث احتوائها واشتمالها على تشابكات متداخلة وكون هذا الغموض قد يكون شفيفاً ويسهل بالتالي فك رموزه .

وأيا كان لون هذا الغموض إلا أن الخط العربي يبقى هو فن وتصميم الكتابة في مختلف اللغات التي تستعمل الحروف العربية حيث ابداع أشكال هندسية مختلفة من خلال تواصل المد والرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل والتركيب .

ولذا يظل الغموض في التركيب الخطي للغة العربية مسألة حضور تتجدد بتعاقب الليل بالنهار لأنها تتعلق بجمال الحرف العربي لغة القرآن الكريم .

تعد دراسة الغموض في التراكيب الخطية العربية وملامح التحدي فيها وكذا التشويه لمن أبرز القضايا المهمة في دنيا الخط

العربي لأنها تكشف وتميط اللثام عن مواطن التفرد والتميز لهذه التراكيب الخطية، وبدءاً سنشرع في إبراز مفهوم هذا الغموض في اللغة والاصطلاح .

تعريف الغموض :

لغــة : هو الإبهام والإخفاء ويقال قد غَمَضَ المكانُ وغَمُضَ وغَمَضَ الشيءُ وغَمُضَ يَغْمُضُ غُموضاً فيهما: خفي. اللحياني: غَمَض فلان في الأَرض يَغْمُضُ ويَغْمِضُ غُموضاً[1] .

إذا ذهب فيها. وقال غيره: أَغْمَضَتِ الفَلاةُ على الشخُوص إذا لم تظهر[1].

وقد غَمَضَ المكانُ وغَمُضَ وغَمَضَ الشيءُ وغَمُضَ يَغْمُضُ غُموضاً .

الخط العربي اصطلاحا: وفى مجال الحديث عن الخط العربي فإنه قد يحدث هناك بعض اللبس أحياناً بين الخط والكتابة ، فلذلك يجب علينا أن نبين الفرق بينهمـا ، فكلمة الخط - اصطلاح مرتبط بالخط العربي الذي ابتكره العرب ويشمل أنواعاً وأنماطاً مختلفة ، فالرسوم الحرفية تحكمها قواعد وضعها الخطاطون والتي تطورت مع مرور الزمن إلى أن استقرت على شكلها الحالي والمعروفة لدينا الآن بالخطوط الستة الرئيسية والتي سيأتي عنها الحديث لاحقاً هي وما يتفرع منها من خطوط تعني «خط بالقلم أي ولو جئنا إلى تعريف الخط العربي لغة نجد أن كلمة خط كتب»[2] وهو تعريف فيه نوع من

(١) أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح ص٧٦.

(٢) يحيى سلوم العباسي ، الخط العربي تاريخه وأنواعه ، ص ١٠.

الشمولية ، حيث ارتبطت كلمة خط بالكتابة سواء كانت كتابة عربية أو انجليزية أو يونانية أو غيرها من باقي كتابات الحضارات الأخرى ، «والكتابة عند الأدباء هي صناعة الإنشاء » [١].

وكثيرة هي تعريفات الغموض ومتنوعة وتختلف من رأي إلى آخر ولكن هناك من يعرفه تعريفاً مختصراً شاملا متكاملاً بحسب علم النفس بأنه :عبارة عن إخفاء الحقيقة فيما يتعلّق بالمشاعر والأحاسيس الداخلية تجاه الآخرين[٢] ، وتعرفه الدكتورة سمية الهادي بأنه صعوبة الفهم والإدراك وغياب المعنى وعدم الوضوح [٣] .

ولأن الخط العربي يحتل مكانة بارزة على مستوى الفنون التشكيلية ليس عربيا فقط بل وحتى عالميا إذا صار يحظى باهتمام الرساميين من مختلف بقاع الأرض والمتاحف والمعارض الدولية[٤] وهذا يدفعنا إلى الحديث عن ملامح تطور الكتابة الخطية .

ملامح تطور الكتابة الخطية العربية :

وفى ظلال السنوات الأخيرة من العصر العباسي وما تبعها من العصور الأخرى، تطور الخط العربي بشكل كبير جداً وبدأ ابتكار أنواع الخطوط وتشكيل الحروف ومن ضمن ما تطور في تلك الفترة التراكيب الخطية التي تسابق الخطاطون للإبداع فيها وتقديم ما هو

(١) لسان العرب ، ابن منظور.

(٢) جريدة الوفاق ، سامر قحطان القيسي ، ربيع الأول ، ١٤٤٤.

(٣) نشأة وتطور الكتابة الخطية ، فوزي عفيفي ، ص ٤١٠.

(٤) الغموض يعزل الخط العربي عن الجمهور ، علاء الدين محمود – ثقافة ٢٠١٨/٠٦/٢٨ – موقع الكتروني.

أجملها وأفضلها والأساليب الخطية تنقسم فيها الكتابات الجمالية إلى قسمين رئيسيين هما:-

١) **السطر :** وهي الكتابة الدارجة باستخدام الجملة المكتوبة على شكل سطر ممتد بدون أي زخرفة ولا تداخل للكلمات مع بعضها البعض وبوضوح تام للكلام وسهولة للقارئ :

٢) **التركيب :** وهو كتابة الجملة المستخدمة بشكل متداخل الحروف ومتراكب على شكل طبقات فوق بعضها وهي ليست على كل الأحوال سهلة القراءة إن لم تكن متسايرة مع القواعد الأساسية للتراكيب الخطية التي تحكمها أسس وقواعد واضحة وصريحة بالإضافة إلى معرفة الجملة المستخدمة الدارجة، وسوف يأتي الكلام عنها لاحقاً وحين نتأمل دلالات التراكيب الخطية نجدها تنقسم إلى أربعة أنواع .

أنواع التراكيب الخطية:

١) التركيب المربع :

ويسمي أيضا التركيب السطر وفيه تتداخل حروف الكلمات بشكل فني بدءاً من اليمين باتجاه اليسار ولا تقل عدد كلماته عشر كلمات حتى تبدأ ملامحه التكوينية بالبروز والتشكل بالصورة المراد الوصول إليها من خلاله . وأبسط مثال ممكن أن نشاهده لهذا التركيب ذلك الكلام المكتوب باللون الذهبي على ستارة الكعبة وهذا النوع من التركيب قد يكون الأكثر انتشاراً بين التراكيب الأخرى والتراكيب الخطية بشكل عام تحتاج في الكتابة قلماً لا يقل سمكه عن ٤ ملم وذلك لأن التركيب تحتاج الأقلام العريضة لتغطية المسافات وملئها .

٢) التركيب الدائري :

وهذا النوع يستخدمه الخطاطون بكثرة لما يتمتع به هذا من قدرة التحدي ، ولتنفيذ الكتابة من خلال هذا التركيب يحتاج الخطاط قبل البدء بالعمل للتأطير بشكل دائري باستخدام قلم الرصاص حتى يخرج العمل بشكل متقن ، وفي هذا التشكيل يحتاج الخطاط وبحسب حجم الدائرة إلى عدد محدد من الكلمات من يتم به ملي الإطار الدائري وتاخذ الكلمات والحروف مساحاتها الكافية غير مزدحمة ويمكن فيه البدء من الأسفل باتجاه الأعلى أو البدء من الأعلى باتجاه الأسفل بشرط الترتيب الذي يبسط قراءة الكلام المكتوب وكم من تركيب يختلط به الترتيب مما يفقده الهدف المنشود منه وخروجه عن القواعد المعروفة ويجعله يدخل في دائرة الغموض والتشويه وهو بلا شك ليس كالتركيب السطر الذي ينطلق من حدٍ أدنى إلى آخر الجملة المراد كتابتها ، والتركيب الدائري ليس بالأمر السهل ويختلف في تنظيمه وسلاسته من خطاط لآخر وهو ما يظهر الموهبة والتمكن بشكل جلي بين خطاط وخطاط ، ويخضع لصرامة قواعد التراكيب المذكورة ويمكن للخطاط التصرف في بعض الأماكن متى ما كان في ذلك خدمة للعمل الخطي .

٣) التركيب البيضاوي:

وهو ليس ببعيدً من حيث الخواص عن التركيب الدائري ولكنه يأخذ أشكالاً بيضاوية مختلفة مثل :

أ- التركيب البيضاوي العمودي .

ب- التركيب البيضاوي الأفقي .

جـ - التركيب البيضاوي الكمثري : وهو المشابه لشكل فاكهة الكمثرى

وبلا جدال ليعد هذا النوع من التراكيب بلا شك أكثر صعوبة من التراكيب التي قبله ، كونه يخضع لضيق المساحة في بعض الجوانب التي يحتاج التمدد فيها وهنا تبرز قيمة الخطاط وذكائه في تطويع الإطار للكلام والحروف .

٤) التركيب الحر (التركيب المفتوح) :

ونرى أنه من أجمل أنواع التراكيب حيث المساحات المفتوحة والمطلقة للكتابة غير الخاضعة للقيود والحدود، ودائما ما أشبه بالقصيدة الحرة التي التزمت الوزن وتحررت من القافية، فهنا الخطاط متحرر من الأطر التي خضعت لها التراكيب السابقة وبكون هذا النوع أسهل من التراكيب السابقة لكنه لا يعني ذلك أنه سهل بل يخضع لقدرة الخطاط الإبداعية في تكوين الكلمات وإبراز العمل بشكل ملفت يجعله يتفوق ويحقق قبولا كبيراً لدى المتلقي .

٥) التركيب المجسّم :

وهو نوع من التراكيب التي ظهرت في فترة من الفترات وأخذت في التطور حيث قام بعض الخطاطين بمحاولة تجسيم بعض المكتوبات من آيات وأبيات شعر ومقولات ومأثورات على أشكال مختلفة منها ما هو على شكل شخص يصلي ومنها ما على شكل حصان ومنها على شكل سيف وطائر وهكذا، ومن وجهة نظري أن هذا النوع من التركيب كان أقرب للرسم منه للخط وأقرب للتشويه منه للتجديد والإبداع حيث كثير من اللوحات تنتشر فيها الفراغات بشكل واضح الأمر الذي يستدعي الكاتب لمحاولة ملئها بالتشكيل والحركات التي لا تنتمي إلى الخط وإنما لإكمال الشكل حتى تبرز ملامحه المقصودة وهكذا انتشر

هذا النوع في اللوحات التي تزين جداريات البيوت فاستغلت بشكل تجاري أفقدها جودتها الخطية وأخرجها من ردائها الإبداعي .

٦) التركيب المتقابل (المرآة) :

وهو عبارة عن تركيب تظهر فيه الجملة الخطية في (تكويناته بشكل متقابل أو متماثل في جميع مفرداتها من حروف وكلمات.. وعلى خط محوري عمودي محققاً التطابق النصفي التام،)

ويسمى هذا التركيب بتركيب المرآة لتمثيله شكل المرآة في تقابل الجملة الخطية وهذا التركيب يتشكل في مجموعة من التركيبات المؤطرة مثل: التركيب الدائري، التركيب البيضاوي بأنواعه البيضاوية الثلاثة (الطولي والأفقي والكمثرى) وبذلك تحون اللوحات الخطية فيها الكثير من الأسرار وعلى المتلقي أن يكون محيطا بها وهذا الثراء الفني يحتاج إلى القدرة على المتابعة وثقافة حسن الالتقاط من خلال هذا الزخم الفني من خلال تعدد الألوان الخطية .

أهم قواعد التراكيب الخطية:

وقبل أن يكون الخط العربي وسيلة وأداة للتفاهم والمخاطبة ، فهو فن تشكيلي له تميزه وحروفه القابلة للصعود والنزول والانتصاب والمرونة في تشكيل حروفه (لصفاته الكامنة التي تتيح له التعبير عن الحركة والكتلة فينتج حركة ذاتية تجعل الخط يتراقص في كتلته في رونق مستقل محققا إيقاعا جميلا وإحساسا بصرياً ونفسياً»[1]، ويعتبر الخط العربي من الفنون التي تتمتع بصفات خاصة تميزه عن غيره من الفنون الأخرى كاستقلالية الحروف .

(١) علي البداح : محاضرة ضمن فعاليات معرض الخطاطين الأتراك في الكويت ١٩٩٢.

ولأجل أن الخط العربي يختص بملامح وسمات خاصة يتفرد بها ونجدنا أمام بيكاسو الفنان الأمريكي يذهب إلى تعريفه قائلا (إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن الرسم وجدت الخط العربي قد سبقني إليها منذ أمد بعيد) (١).

ولعل من أهم قواعد التراكيب الخطية العربية والتى يتفرد بها عن غيره من الفنون نجد مثل هذه الملامح حيث :-

أ) الوضوح

ب) الترتيب : ١- من الأعلى إلى الأسفل

٢- من الأسفل إلى الأعلى

ج) توزيع المساحات:

لتوزيع المساحات دور هام ومؤثر في التكوين النهائي للوحة ، فتقسيم المساحات وتوزيعها بصورة متناسقة، تجعل الرؤية للعمل مستقرة وتبعث في نفوس المطلعين.

وعند توزيع المساحات في العمل الفني يجب مراعاة بعض الظروف المهمة التي يعتمد عليها توزيع المساحة بشكل أساسي وهذه الأمور هي:

١- عدد المساحات التي تدخل في حدود إطار العمل أو التركيب الخطي.

٢- صغر أو كبر المساحات بالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة للمساحة الكلية للتركيب الخطي .

٣- موقع المساحات بالنسبة لبعضها البعض، فقد تكون متقاربة أو متباعدة .

(١) الدكتور أحمد نور الدين ، اللوحات التعليمية ، الكويت ، ص ١٠.

٤- شكل المساحة نفسها فقد يكون الشكل هندسيا أو مبعثرا . وهناك بعض الاعتبارات التي قد تكون في غاية الأهمية والتي «تحدد الأسس العامة التي تتحكم في أسلوب توزيع المساحات في العمل الفني وهذه الاعتبارات كالتالي»[1] :-

١ - أن يراعي التوازن في توزيع المساحات .

٢ - أن يراعي قواعد النسب المقبولة جماليا

٣ - أن يتم توزيع المساحات بحيث يحقق للعمل الفني وحدة مع التنويع

٤- أن يكون توزيع المساحات الفاتحة والقاتمة، عاملا على إثارة الإحساس بالعمق الفراغي .

٥- أن يتفق توزيع المساحات مع الأهداف المطلوبة في العمل الفني .

٦- أن يوضع في الاعتبار تأثير تراكب المساحات .

٧- أن تراعي العلاقة بين المساحات والإطار الذي يضم هذه المساحات

وتأسيساً على ما سبق نستطيع أن نكون تركيباً متكاملاً لا ينقصه شيء ولا يعيبه شيء ، مشتملا على كل مقومات العمل الخطي الناجح .

د) دقة الحروف :

وهذه الخاصية تتعلق بقدرات الخطاط على إتقان الخط العربي وتمكنه ومعرفته بمقاسات حروف كل نوع من أنواع الخطوط القابلة للتراكيب وخاصة خط الثلث الجلي، ونرى أن الخطاط الذي يجيد الحروف ويتقنها دائما يستطيع التحكم في اللوحة والشكل لا الشكل يحكمه، فهو يستطيع إخراج لوحته وعمله بشكل جميل ورائع ويوجد الراحة النفسية عند المشاهد الذي يتذوق الخط العربي ويعشقه فنجده

(١) الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي ، شاكر حسن السعيد ، ص ١٦٨.

يميز بين العمل الناجح وبين غيره من الأعمال، أيضاً فإن الإنسان غير المتمكن من قواعد الخط إذا ما وجد لوحة خطية مبعثرة قد يحس بالقصور فيها ولكنه لا يعرف السر في نقصانها ولا يعرف موضع الخلل مثل الخطاط المتمكن

هـ) الاتـــزان :

وهو من ركائز العمل الفني الناجح، حيث أن التوافق في الخطوط الأفقية والعمودية والماثلة والمتضادة هو أساس اتزان اللوحة ونجاح العمل «إذا دققنا في الخط العربي فإننا نرى ثمة مقاييس يمكن استخلاصها لتحقيق سلامة الكتابة الفنية » والاتزان في مقاييس وضع الحجم في التركيب يظهر الوجه الأصلي للعمل الفني سليما من التشويه، لذلك يجب على الخطاط أن يجمع بين الإتقان في رسم الحروف واختيار التركيب الجميل المتناسب مع الحروف ، ويساعده في ذلك مرونة الحروف العربية نفسه ويساعدنا الاتزان في العمل الفني على إخراج الوحدة الجمالية المنظمة للعمل «وهي التي يخضع فيها الخط العربي بالذات إلى مبدأ الاتصال والانفصال بين الحروف والكلمات»[1] وهذا المبدأ هو أصعب ما يواجه الخطاط في عمل التراكيب الخطية لذلك كما ذكرنا يجب على الخطاط عند اختيار النص مراعاة حروفه ، وهل هي قابلة للتشكيل أم لا ، حتى لا يضيع الوقت دون الخروج بنتيجة مفيدة .

(١) من آفاق الخط العربي ، باسم ذنون ، ص ١٠٨.

و) ملء الفراغات:

الفراغ في العمل الفني أمر غير مرغوب فيه لما ينتج عنه من ضعف وتشوه العمل، ولذلك لجأ الخطاطون المسلمون إلى ابتكار بعض الأشكال لملء الفراغات الناتجة بعد الانتهاء من العمل مثال ذلك: الفتحة، الضمة، الميزان، الأظفر إضافة إلى تجميع أكثر من نقطتين في مكان واحد الأمر الذي ينتج عنه ملء الفراغ الموجود. ولقد تصرف وتفتن الخطاطون بعمل اللوحات الفنية «وزاوجوا بين الخطوط بتوافق تام ليشعروا بنشوة التفوق على الصعاب والتخلص من الخوف»[١] .

ز) الإيقـــاع :

وهو من أهم الخصائص الذي يتميز بها الفن الاسلامي والذي يعتبر ناحية التأثير في اللوحة وزيادة نسبة التوازن بين أحجامها مما يعطي مألوفا، يؤثر في إحساس من يشاهد العمل ، ويعتمد الإيقاع في «على التماثل والتناظر والتبادل، كما يعتمد على الخط اللين والمساحات وتوزيع الوحدات، وتوزيع الخط بين كل هذه العناصر»[٢]، ومن النادر جداً أن نرى في العمل الفني إيقاعاً واحدا، بل الأحيان يشتمل على عدة إيقاعات متعددة، فهو أمر من شأنه أن الفنية تنويعاً وحداثة وتجديداً في الشكل، وغالباً ما نجد الكتابة العرب الخطية تغلب على العناصر الزخرفية المجاورة لها ، والإيقاع للوحة الفن للجسم ، ولذلك فإن انتظام ضربات القلب في دقة متناهية الأمر استقامة صحة الإنسان وسلامته[٣] .

(١) نشأة الكتابة الخطية العربية ، فوزي عفيفي ، ص ٣٩٠.
(٢) حمود جلوي ، التجارب المعاصرة في الخط العربي ، ص٣٣.
(٣) ملاك الشامي ، مجلة موضوع ، مايو ٢٠١.

الغموض في اللوحة الخطية العربية:

إن الغموض الشقي والذى يخطف الأنظار ليهمس للعين بسحر يجذبها بإعادة النظر إليه وتعرجاته الخلابة ذلكم هو الخط العربي الذى يعبر عن هويتنا ويرسم بصمتنا بين العالم هو فن العرب الباقي والخالد وكتابته الجمالية لا تشبه أي كتابة في أي مكان بالعالم(١).

ولذا فيعد الغموض في اللوحة الخطية العربية مشكلة كبيرة يواجهها الكثير من المهتمين من العامة والخاصة، حيث يلجأ بعض الخطاطين إلى غمس هوية الجملة المستخدمة في الكتابة وربما باستخدام الرسم ممكن يجعلها صعبة القراءة بعيدة كل البعد عن السلاسة والوضوح وهو ما يفقدها كثيراً من قيمتها الفنية بتجاهل الناس لها وعدم بذل المجهود الكافي في فك رموز هذه الألغاز التي يجب أن يجتمع فيها الجمال والبساطة معاً. وهنا نستعرض أسباب الغموض الذي يلجأ أليه بعض الخطاطين .

دوافع الغموض في العمل الخطي :

ولعل من الأسباب التي دعت بعض الخطاطين إلى التعقيد واللجوء إلى كثير من التشابكات في دنيا الخط العربي والتي تترك كثيراً من التساؤلات خلفها بين المهتمين في الأعمال الفنية وملامح ذلك يتجلى في :

١) **التحدي** :

هناك بعض الأشخاص يرون في أنفسهم التفرد والتميز ولا يقبلون أن يكونوا في مصاف الناس التقليديين ، لذلك هم يعشقون

(١) الرياض العدد ٨ أكتوبر ٢٠٢١ ، الخط العربي الشامخ.

التحدي مع أنفسهم في إيجاد بصمة خاصة تجعل من أسمائهم رموزا متداولة، وانتشارا صريحا بين الخطاطين وكأنهم يعشقون السباحة عكس التيار وفعلا يقومون بذلك ولكن لن ينجو من لا يجيد العوم ومن لم ينطلق من قاعدة قوية وأساس متين يمكنه خوض هذه التجربة بكل احترافية .

٢) **التميـــز**:

في خضم السماء المليئة بالنجوم، هناك من يريد البروز والتميز، فيحاول وضع بصمة خاصة فيه مختلفة عن غيره وعليها يبدأ المسير في طريق جديد معتمداً على أفكار غير مطروقة وأساليب غير مسبوقة، ولا شك أنها مهمة شاقة وليست بالسهلة ، فكثيرون حاولوا ابتكار خطوطٍ عربية جديدة ورسبوا في المحاولة ولم يوفقوا ووجدوا أنفسهم يسبحون في أفلاكٍ مكررة تؤدي إلى نتائج سابقة ، لذلك من يعشقون التحدي يهدفون للتميز .

٣) التجديد :

التجديد دائما مبدأ محمود ومطلوب إذا ما انطلق من الأسس المعروفة والقواعد الأصيلة حتى لا يأخذنا إلى شي لا يمت بصلة للفن المطلوب تطويره ، فبعض الخطاطين يكره التقليد ودائما ما يميل إلى التجديد والتطوير ولكن التجديد المبني على الأسس السليمة الدارجة ، وهناك من يعشق التطرير ولكن يقع في فخ الغموض غير المدروس والذي تأتي نتائجه عكسية مما يسبب عائقا في إيصال الفكرة المطروقة وبالتالي رسوب التجربة وفشلها .

٤) **خلق مدارس فنية جديدة** :

التجارب الفنية الجديدة لا تتوقف والمحاولات المتكررة في هذا الجانب كثيرة ، ولكن اسم (مدرسة) بمعنى نهج أو أسلوب جديد ليست بالفكرة السهلة والبسيطة، فالأمر أكثر عمقا وصعوبة مما يتصوره بعض الناس، خاصة وإن هذا الأمر لا يأتي بالفكرة المباشرة بل بتراكم التجارب ونتائجها ما بين نجاح وفشل إلى الوصول إلى خلطة سرية تنقل صاحبها من الخيال إلى الواقع بشكل قائم على قواعد وأسس ومبادئ جديدة لا تتعارض مع بعضها ولا تتناقض ، وتتفق في كل التقاطعات المتوقعة تجد حلا لكل مشكلة تواجهها بكل أريحية ويسر .

٥) **دخول بعض غير الخطاطين من الرسامين في مجال التراكيب والخطوط رغم جهلهم بأدنى معاييرها وقواعدها شوه الكتابة وأدخلها في نفق التعقيد والغموض.**

وبلا ريب وتأسيساً على ما قيل من دوافع للغموض الخطي يمكننا القول بأن هذه الدوافع قد تخلف ورائها العديد من البصمات الخاصة لسحر رسم الخط العربي وهذا فيما نرى هو الغموض الشفيف والذى يرسم لنا ذائقتنا الخاصة تجاه فن العرب الباقي والخالد (الخط العربي) .

الغموض تشويه للعمل الخطي :

غياب المعنى وعدم الوضوح :

رغم أننا مع قضية الغموض الشفيف في الخط العربي إلا أن تعمده قد يؤدى إلى غياب المعنى فالعمل الخطي هو كلام عربي إما آية من القرآن أو بيت شعر أو قول مأثور ، فعندما يصعب على القارئ

معرفة المكتوب فإن ذلك بلا شك أنقص من قيمة هذا العمل ، فالوضوح أمر مهم جداً ولا نقول الوضوح إلى درجة تفكك العمل بالعكس التناسق مطلوب ولكن المطلوب أيضاً عدم الخروج عن الأصول والقواعد بقصد التفرد والتميز الذي ينقلب عكساً على العمل الفني .

تشتيت القارئ وتأويل قراءة اللوحة الفنية:

عندما يدخل التعقيد في اللوحة الفنية فإنه بلا أدنى شك سوف يشتت ذهن القارئ ويفقده التركيز الأمر الذي يدخله في التأويل في محاولات منه لقراءة اللوحة الخطية وفهم المكتوب فيها وهذا الأمر لا يعتبر أمراً إيجابياً فهو يضيع الوقت والجهد وقد تكون النتيجة بعد ذلك كله النفور من العمل وعدم الاستساغة له وبالتالي عدم فهمه مما يعني أن النتيجة المراد الخروج بها نتيجة سلبية .

جمالية التركيب على حساب المعنى:

كثيرون هم الخطاطون الذين يركزون على جمالية التركيب وتناسق مدوده وتداخل حروفه مما يعطي انطباعاً جيداً للمشاهد الذي يذهل من النظرة الأولى كون العمل شُكّل بصورة إبداعية ، ولكن سرعان ما قد يتلاشي هذا الذهول والإعجاب عندما يجد نفسه عاجزاً أمام قراءة اللوحة وفك رموزها وشعوره بالإرهاق الفكري الذي يبعث الملل في النفس والإحباط في الشغف ، لذلك دائما ما ننصح أن يكون هناك توازناً في خلق المتعة بين التركيب والمعنى وألا يطغى أحدهما على الآخر .

الخروج عن المألوف بعيداً عن القواعد الأساسية :

يلجأ بعض الخطاطين من أجل الظهور والتميز إلى الخروج عن المألوف وهو أمر محمود وأنا شخصيا أحب هذا النهج وأحرض عليه دائما سواء في الخط أو الشعر أو الأدب والفنون بشكل عام، ولكن دائما ما أؤكد على الانطلاق من القواعد الأساسية المتفق عليها، فمتى ما خرجنا منها فبكل تأكيد أننا سوف نصطدم في المجهول من الأمور التي قد تعيق اكتمال العمل الخطي الأمر الذي يلجأ بسببه الخطاط إلى بعض الحيل للخروج من المأزق ويترتب على ذلك ربما تشويه العمل أو خروجه بصورة سيئة لا تنتمي إلى الأصل الذي كان يريد الوصول إليه الخطاط، فالقواعد قد تحكمنا أحيانا ولكنها تنظم عملية سيرنا بالاتجاه الصحيح .

بناء التركيب وغياب الترتيب:

من أخطر الأمور التي يقع بها بعض الخطاطين وخاصة غير المحترفين هي التركيز على بناء العمل بما يتناسب مع الإطار المرسوم بغض النظر عن ترتيب الكلام وتنظيمه من حيث التقديم والتأخير والتنسيق فتجد كلمة في اليمين والكلمة التي تتلوها في أصى اليسار وبينهما كلمات كتبت في مكان ليس مكانها الحقيقي في الترتيب وبالطبع هذا الأمر يدخلنا في دائرتين الغموض والتشويه وهي بكل تأكيد أمور تقلل من قيمة بناء العمل وتفقده قيمته الفنية والأدبية .

وتعقيبا على ما سبق يمكننا القول بأن الغموض عندما يكتنف أسرار اللوحة الخطية من حيثيات ومجريات التطبيق الفعلي فإن اللوحة

الواحدة ذات النوع والمقاس المشترك والحجم الموحد والنص الموحد سينتج عنها لوحات تصدح عبقرية ورؤى متنوعة قل أن تتطابق في فعلها لوحتان [١].

دلالات الغموض من رؤية مغايرة :

وهناك فئة ليست بالقليلة من الناس تميل إلى الغموض وتبحث عنه ولا يغريها العمل البسيط الواضح ، لذلك تجدهم دائما ما يحاولون فك المبهم من الأعمال بطريقتهم الخاصة وبأسلوبٍ يميزهم عن غيرهم.

إذ الغموض دائما ما يضع تساؤلاتٍ كثيرة ومقاصدا متعددة وهو الأمر الذي يفتح أبواباً من التأويلات والشكوك إلى حد الوصول للنتائج المختبئة خلف ذلك الغموض .

كما أن هناك من يلجأ إلى الغموض في اللوحة من إجل إيصال رسالة قد تكون سياسية أو دينية لا يستطيع البوح فيها علناً خوفاً من أن يعرض نفسه للمساءلة القانونية .

وفريق ثالث يرى أن من يلجأ إلى هذا الفعل بتعويم المعنى باعتبار هذا النوع فنا رمزيا يمرر من خلاله ما يريد من أفكار .

ومن ناحية أخرى قد يكون الغموض في اللوحة الفنية عجزاً من الخطاط نفسه وعدم قدرته الوصول إلى التركيبات الفنية الجميلة المميزة ، فيلجأ إلى هذه الحيلة لبيان أنه قادر على التميّز كغيره من الخطاطين والفنانين المميزين .

(١) العربي العدد ٦٩٤ ، مقال بعنوان الحرف العربي وأفق الخيال.

إلا أن الفضول في معرفة المستور في ما وراء ذلك الغموض ، كمثل الهدية المغلفة التي يزيد الفضول في معرفة ما بداخلها وهو أمر مطروح بقوة وسبب مقنع ، ويحضرنا هنا قول الشاعر ربيعة بن عامر التميمي المعروف بـ مسكين الدارمي :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلـت بزاهدٍ متعبد

فهناك الكثير من الناس تغريهم العيون من خلف الخمار الأمر الذي يبعث في نفوسهم الفضول لمعرفة ما يختبئ خلف الستار .

أنـواع الغموض :

وقد عددنا سالفا أشكال وأنماط للغموض ودوافعها وسنلقى الضوء على ألوان هذا الغموض والتي تتشكل في :-

١) **الغموض السهل :**

وهو كثير ومنتشر وله مفتاح ييسر الوصل لفك رموزه ومثله كبيت شعرٍ دارج في لوحة خطية معقدة بمجرد معرفة أول كلمتين منه سوف يحل البيت ويمكننا قراءته بكل سهولة ، وهذا نوع محبب عند الكثيرين مثاله لو أردنا كتابة بيت المتنبي الشهير:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فهذا البيت مهما كانت اللوحة معقدة فبمجرد معرفة قراءة كلمتين منه سوف يتم قراءة ما تبقى منه بكل سهولة ويسر .

٢) **الغموض المركب :**

وهو الغموض الصعب الذي لا يمكن الوصول إلى مفاتيحه إلا من خلال من يملك ثقافة عالية واطلاع متسع ، ومثاله كبيت شعرٍ غير

معروف أو حكمة غير دارجة ويتم توظيفها في لوحة معقدة ، فهنا يقف القارئ أو المتابع حائراً من أين يبدأ وإن فهو لا يعلم أي كلمة سوف تكون مفتاحاً وإن عرف المفتاح لا يستطيع الإكمال في القراءة لأن المعنى جديد ولم يسبق له قراءته ويخشى من ترتيب ليس هو المقصود بينما المطلع من خلال الكلمات الموجود يمكنه فك رمز الكلام وقراءته، فكثيرون يعشقون الغوص في هذا البحر المعقد ، فهناك قصيدة بعنوان "الطلاسم" للشاعر الكبير إيليّا أبو ماضي وهي فلسفية تجبر القارئ العاشق للصعب الباحث عن التميز إلى تحليلها والبحث في ما ورائها . وقد يكون هذا الغموض من جانب آخر بسبب استخدام بعض المفردات المعقدة أو الغريبة أو المشتركة التي تعطي أكثر من معنى ، أو التحوير في بعض الحروف في اللوحة الفنية مما يسبب فهما خاطئا للقارئ وبالتالي تكون النتيجة غير صحيحة . ومن أكثر الأمور التي قد تسيء للعمل وتدخله في دائرة التشويه ما يقوم به بعض الخطاطين من محاولة الابتكار بدمج أكثر من خط في التركيب الواحد بقصد الخروج بصورة مطورة للخط الأمر الذي تتصادم فيه القواعد المقيدة لكل نوع ما ينتج عنه خلل الفهم والقراءة أضف إلى ذلك التشويه البصري والجمالي للعمل وهذا ما يغيب عن الكثير ممن لا يتقنون قواعد الخطوط ولا يفقهون في قوانينها فينتج عنها ما هو خارج إطار الفنون عامة ، ولعل من أبرز ملامح التشويه في الأعمال الخطية الأصيلة دخول بعض غير الخطاطين من الرسامين في مجال التراكيب والخطوط رغم جهلهم بأدنى معاييرها وقواعدها الأمر الذي شوه الكتابة وأدخلها في نفق التعقيد والتنفير ظنا منهم بأن ما يقدمونه أعمال خطية إبداعية وهي في الحقيقة رسومات لا يتجاوز فيها الإبداع الحقيقي حسب القواعد

الأصلية نسبة صفر بالمئة ، وهذا بلا شك لا يقبله الرسامون ويعتبرون هذه النسبة إهانة لهم وهي في الحقيقة الحقيقة المرة التي يجيب أن يعرفونها فلكل صنعة أهلها ومحاولة تبادل الأدوار بكل سهولة أمر صعب جدا لا يدركه إلا المتخصصون .

ولنا حول ما عرضنا روية وتتبدى في كون الخط العربي فن هندسي متقن ومدروس ومعبر قوى عن الجمال وحامل للمعنى الفكري الفلسفي والديني المتعلق بالطبيعة تحديداً وعناصرها ومن ثم الكون رغم ما قد يعتريه من غموض أيا كان نوعه ، وهذا الغموض في حد ذاته لقادر على المحافظة حتى اليوم على قدرته على التلائم مع العديد من أنواع الفنون التشكيلية والزخرفية الحديثة .

مختتم

تعد قضية الغموض في التراكيب الخطية العربية وملامح التحدي فيها والتشويه لعنصر مهم في قضية الكتابة العربية ذلك لأنها قضية حساسة بحكم أنها جوهر العملية الكتابية وليس هدفنا في هذا المختتم البحثي أن نعرج على أصالة المصطلح حيث الغموض في التراكيب الخطية العربية وتطور الكتابة الخطية وإلى أين وصلت وألوان هذه التراكيب وقواعدها وسر الغموض في اللوحة الخطية وملامح وأسرار ذلك كله ، ولكن حسبنا بأن نؤكد على اعتبار أن الحرف العربي بسحره وغموضه من أغنى ما قدمته الحضارة العربية للغرب بما يتكئ عليه من التناسق في التكرار والاتزان في التماثل .

كما نؤكد على أن الخط العربي ورغم غموضه الآسر إنما ليعد فنا جميلا يجسد الإبداع في أرقي ألوان حضوره من خلال مدى التطور الكتابي لطريقه رسم الحروف وتداخلاتها وتشابكاتها والتي جعلت من الخط العربي رغم غموضه مكانة خاصة ضمن المنظومة الفنية العالمية .

المراجع

١- أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح ص٧٦

٢- يحيى سلوم العباسي ، الخط العربي تاريخه وأنواعه ، ص ١٠

٣- لسان العرب ، ابن منظور.

٤- جريدة الوفاق ، سامر قحطان القيسي ، ربيع الأول ، ١٤٤٤

٥- نشأة وتطور الكتابة الخطية ، فوزي عفيفي ، ص ٤١٠

٦- الغموض يعزل الخط العربي عن الجمهور ، علاء الدين محمود – ثقافة ٢٠١٨/٠٦/٢٨ – موقع الكتروني .

٧- علي البداح : محاضرة ضمن فعاليات معرض الخطاطين الأتراك في الكويت ١٩٩٢ .

٨- الدكتور أحمد نور الدين ، اللوحات التعليمية ، الكويت ، ص ١٠

٩- الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي ، شاكر حسن السعيد ، ص ١٦٨

١٠- من آفاق الخط العربي ، باسم ذنون ، ص ١٠٨

١١- نشأة الكتابة الخطية العربية ، فوزي عفيفي ، ص ٣٩٠

١٢- حمود جلوي ، التجارب المعاصرة في الخط العربي ، ص٣٣

١٣- ملاك الشامي ، مجلة موضوع ، مايو ٢٠١

١٤-الرياض العدد ٨ أكتوبر ٢٠٢١ ، الخط العربي الشامخ

١٥- العربي العدد ٦٩٤ ، مقال بعنوان الحرف العربي وأفق الخيال .